الرابع من قصة حيقار و بين امثال ايسوب يدل على ان قصص ايسوب وامثاله مأخوذة من قصة حيقار واماثله . ثم ان امثال ايسوب كانت شائعة في بلاد اليونان في القرن الخامس قبل المسيح و يقال ان سقراط حاول وهو في السجن نظم بعضها شعراً ومن المؤكد ان اول من جمعها وكتبها ديمتريوس الفلاري في آخر القرن الرابع قبل المسيح لكن ما كتبهُ فقد والموجود الآن من امثال ايسوب مأخوذ من نسخة فيدروس التي كتبها في القرن الاول المسيحي وقصص ايسوب احدث من ذلك

وخلاصة ما ارتأيهِ بعد بحث يطول شرحهُ ان ديموقريطس ترجم قصة حيقار واماثلهُ عن كتابة وجدها في بابل . ثم ان ثيوفراستس تلميذ ارسطوطاليس وضع ما يماثلها باليونانية فجاء ديمتريوس بعدهُ ووضع قصص ايسوب واماثلهُ على مثالها . وكل الاستنتاجات السابقة هي من باب الترجيح وعسى ان يكشف بين الآثار المصرية ما يهب فصل الخطاب . انتهى باختصار كثير

تقدم علم الطب

٢

من اهم مظاهر تقدم الطب الحديث الاهتمام بالعدوى المركزية (Focal infection) وعلاقتها بانواع الامراض التي تصيب الجسم . وخلاصة هذا المذهب ان عدوى قديمة تكون كامنة في جذور الاسنان او اللوزتين او الانف او الحلق او في اي جزء من اجزاء الجسم يتولد منها جراثيم تسير بواسطة الدم الى اية ناحية من انحاء الجسم حيث تحدث عدوى جديدة ينشأ منها امراض لا تزال الآن بدوائر العدوى المركزية . عرفوا منذ سنين ان مصدر التهاب عضلات القلب (myocarditis) قد يكون من الحلق وان منشأ داء المفاصل (روماتزم) وغيره من الامراض احدُ المراكز المذكورة اعلاه . ولما انتشرت هذه الفكرة غالى مروجوها فيها وتجاوزوا حدّ الاعتدال الى ما لم ينتكر فيهِ واضعوها و بعد اختبار قرن رسخت هذه العقيدة وصار الطبيب العصري لا يغفل عن فحص هذه الاعضاء متى أشكل عليهِ الامر خاصة في الامراض التي تقدم ذكرها

﴿هل للجراثيم مزاج خاص﴾ (Idiosyncrasy) الدكتور روزنو من جهابذة المشتغلين في هذا الموضوع وقد نشر نتيجة مباحثهِ فيهِ ومنها يستدل على ان بعض الجراثيم تنشأ في احد

مراكز العدوى ثم تجتمع في مكان خاص كالمعدة فتحدث فيها القرحة المعدية او تجتمع في القلب فتسبب التهاب عضلاته او صماماته او في الكلية فتولد حديداً او حصى او في المرارة فاما ان تحدث فيها التهاباً او تصير نواة يتكون منها حصى وهلم جرًّا . ومع ان نتائج هذا البحث كانت باهرة فلم يسلم من السهام ومنهُ نشأ الرأي القائل بان الجراثيم كالانسان تعيش في البيئة التي تلائم مزاجها اكثر مما تلائمهُ غيرها

﴿ تقدم الكيمياء الحيوية ﴾ (Biological chemistry) تقدم هذا العلم تقدماً محسوساً واصدق شاهد على ذلك تدرجنا في معرفة البول السكري (الدبابيطس) ذلك المرض الذي يصير الجسم عاجزاً عن التصرف بالمواد الكاربوهيدراتية (Carbohydrates) او السكرية . عرفوا منذ اجيال قديمة ان السكر يفرز مع البول في هذا المرض ومنذ خمسين سنة وجد بعض الباحثين الالمان ان من يموت بهذا المرض وهو في حالة السبات او الغيبوبة يتولد في جسمهِ استون او حامض الدياسيتيك (Acetone or diacetic acid) زيادة عن المعدل ويصير الجسم في حالة تحمض (Acidosis) ولما تقدم علم وظائف الاعضاء بفصل احد اعضاء الجسم ومراقبة ما يحدث فيهِ بعد فصله تبين انهُ يمكن احداث البول السكري باستئصال البنكرياس (Pancreas) ثم جاء بحاثة آخر كشف بواسطة المكرسكوب انسجة خاصة في البنكرياس تشبهُ الجزر فاطلق عليها اسم جزر لنغرهانز[1] وقد تابع المشتغلون في الامراض الداخلية هذا الموضوع ووجدوا ان جزر لنغرهانز تتلف فيمن يموتون بالبول السكري ووجد الفسيولوجيون ان ربط قناة هذه الغدة ربطاً يمنع جريان العصارات الهضمية منها يتلف نسيج الغدة وتبقى جزر لنغرهانز سليمة

﴿ فضاء الانسولين على السكر ﴾ استند الدكتوران بانتنغ وبست (Banting & Best) على اكتشاف لنغرهانز ومن تابعهُ وواصلا السعي في استخراج خلاصة هذه الجزر مسترشدين بارشادات مكليود (Macleod) احد اطباء تورنتو وساعدهما كولب (Collip) في ذلك فتوفقا الى اكتشاف الانسولين وفازا بعد جهاد نصف قرن اشترك فيهِ مآت العلماء على اختلاف بلدانهم في حل معضلة البول السكري ومتى استعمل المصابون بهذا الداء الانسولين تمكنوا من حفظ موازنة السكر في اجسامهم . وقد وجد

(١) اسم المكتشف وهو (Langerhens) طبيب المانى اختصاصي في الامراض الداخلية (١٨٤٩ — ١٨٨٨)

العلماء طريقة اخرى الى حفظ هذه الموازنة وهي الاقتصار على اطعمة خاصة تمنع تجمع السكر في الدم والقضاء على حياة المريض

من الامراض الشبيهة بهذا الموضوع اي الناشئة عن التحولات الغذائية امراض الغدد الصماء او العديمة الاقنية كالغدة النخمية والدرقية والتي فوق الكلية (Suprarenal) وغدد التناسل وقد تمكن العلماء من اكتشاف حقائق مدهشة عن كل من هذه الغدد بمساعدة الادوات الحديثة كالكرسكوب وما اشبه التي تمكنوا بواسطتها من درس انسجة تلك الغدد واستخراج خلاصاتها واستعمالها بطريق الفم وخلافه

﴿الغدد من عوامل سلامة الجسم﴾ اصبح من المعلوم ان وظائف الغدد متعلق بعضها ببعض وقد تقوم الواحدة ببعض وظيفة الاخرى اذا اعتلت او قد يطرأ على الغدة علل كالاورام او تكون الغدة مشوهة خلقةً او معدومة او انها عاجزة عن القيام بوظيفتها وعلم جرًّا فيتولد من ذلك امراض مختلفة كزيادة كبر القامة (Giantism) والسمنة (Obesity) والقزامة (Dwarfism) والخمول (Cretinism) والبله (Idiocy) وغيرها من العاهات الجسدية. وقد تمكن الدكتور كولب قبل اشتغاله بالانسولين من استخراج مادة فعالة من الغدد المجاورة للغدة الدرقية (Parathyroids) مفيدة في كثير من امراض هذه الغدد. والجوهر (Hormone) هذه الغدد اثر كبير في مقدار الكلس (الجير) الذي في الدم. ان الكلس (الجير) من المواد التي تدخل في تركيب العظام والاسنان وله اثر كبير في تهييج الاعصاب ويفيد في بعض الامراض كالربو وحمى الحشيش (Hay fevern) ويظهر ان له علاقة بالنوبات التشنجية التي تحدث في الصرع وهزة الحائط. فامام الاطباء مجال واسع للتوسع في اكتشاف كولب والتبسط في هذه الابحاث النافعة وقد وجد الدكتوران الن ودويزي (Allen & Doisy) من اطباء جامعة سوري بالولايات المتحدة مادة تنشأ في المبيض عقب نولد البيضة فوراً ويظنان ان فيها خلاصة المبيض الفعالة. نعم اننا علمنا كثيراً عن هذا الموضوع ولكن معرفتنا وشل من بحر ما نجهل وما في الأقبس يرينا الفراغ العظيم الذي لا يزال امامنا

في الجانب الايسر من التجويف البطني تحت الاضلاع كتلة من نسيج تختلف عن سائر انسجة الجسم وهي الطحال ووظيفته غير معروفة تماماً فيعتقد الباحثون ان له علاقة في توليد كريات الدم الحمراء كما انه مقبرة لها توارى فيه. ونسب اليه وجود افراز داخلي ولكن هذا الامر لم يتقرر بعد

ان اسباب فقر الدم الخبيث وفقر الدم اللمفاوي الذي تزداد فيه الكريات البيضاء ومرض هدجكن (Hodgkin's disease) واورام الغدد اللمفاوية والهموفيليا (Haemophilia) التي يتعرض فيها الشخص الى النزف الشديد وعدم تخثر الدم لا تزال مجهولة وقد تُعزى الى اعتلال عضو من اعضاء الجسم لم تعرف وظيفتهُ بعد او الى اعتلال كيماوي في الجسم عموماً لم نتوفق الى معرفته بعد

وهناك علل خاصة بالجهاز العصبي كالصرع والصداع منشوءها اختلال في غدد الجسم مجهول السبب. كذلك الامراض الناشئة عن اختلال نسج الجهاز العصبي كانواع الشلل فاذا اضفنا اليها الامراض العقلية كالجنون وما اشبه تبينا الفراغ الواسع في عالم الطب وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا في املاء هذا الفراغ

﴿ نشوء الحصانة ﴾ ظهر من الاختبارات الطبية ان بعض الاشخاص يصابون بالربو او حمى الخشيش متى اكلوا او استنشقوا مواد بروتينية غريبة عن الجسم. وقد تمكن العلماء من استنباط كواشف لهذه المواد وذلك باستخراج خلاصة المادة التي يكون المصاب معرضاً للشعور بها خاصة ثم يلقحون هذه الخلاصة في ذراع الشخص فان كانت هي العامل في احداث المرض يحصل رد فعل أهم مظاهره الاحمرار وورم في مكان التلقيح

ويتضح بواسطة هذا الكاشف هل كانت المادة البروتينية هي سبب المرض اولاً فان كان الكاشف ايجابيًّا حصل رد الفعل الذي ذكرناه فيعلم الطبيب ان المادة هي سبب المرض وان كان سلبيًّا جرّب غيره ومتى عرفت المادة صار من الممكن تخفيف تأثيرها او ازالتهُ بحقن المريض بجرعات تدريجية متزايدة في فترات معينة من تلك المادة حتى تنشأ في الجسم حصانة ضدها فيؤمن شرها. وقد توسع العلماء في هذا البحث ووجدوا ان خلاصة بعض (المكروبات) قد تحدث ايضاً رد فعل كرد فعل المواد البروتينية وان ادخال هذه الخلاصة الى الجسم يولد اعراضاً شديدة وصارت همة العلماء منصرفة الآن الى معرفة المواد الكيماوية التي تسبب هذا العمل كي يسيروا على هدى. وقد درس الاطباء حالة الجسم بعد ادخال مادة بروتينية غريبة اليهِ اذ يحصل رد فعل عمومي اهم اعراضهِ ارتفاع الحرارة وازدياد كريات الدم البيضاء وغيرها من المظاهر وهم يسعون السعي الحثيث الى تحويل هذه الخاصة وخصوصاً رد الفعل حين دخول مادة بروتينية غريبة الى قوة فعالة في مقاومة مواد كهذه تجلب الامراض المزمنة

الدكتور شريف عسيران